ADVANCE SOCIAL SCIENCE ARCHIVE JOURNAL
Available Online: https://assajournal.com
Vol. 04 No. 01. July-September 2025.Page#.712-724
Print ISSN: 3006-2497 Online ISSN: 3006-2500
Platform & Workflow by: Open Journal Systems

A Comparative Study of Social Problems in Surah An-Nur in Light of *Ahkam Al-Quran* by Al-Jassas and *Ahkam Al-Quran* by Al-Arabi

دراسة مقارنة للمشكلات الاجتماعية في سورة النور في ضوء تفسير أحكام القرآن للجصاص وأحكام القرآن للعربي

Sakhi Rehman
Ph.D Scholar, Department of Islamic Studies Qurtuba University of Science and Information Technology D I Khan
sakhirehman49@gmail.com
Safi Ullah
Ph.D Scholar, Department of Islamic Studies Qurtuba University of Science and Information Technology D I Khan
safiullah.haleemi@gmail.com
Professor Dr.Muhammad Aslam Khan
Department of Islamic Studies Qurtuba University of Science and Information Technology D I Khan
ihsankhan0570@gmail.com

Abstract

This paper looks into the social problems as presented in Surah Nur by comparing two of the most important traditional exegeses; Ahkam al-Qur an by Al-Jassas (Hanafi school) and Ahkam al-Qur an by Ibn al-Arabi (Maliki school). Surah An-Nur is known to be a heavy legislative surah containing various provisions regarding ethical provisions, family life, modesty, chastity and all the limits of the public and the private life in the Islamic society. The purpose of the study is to find out how two scholars read the same verses in different ways and this reveals the plurality in legal and moral thought in Islamic jurisprudence. The thesis explores such key social issues as adultery and its punishment, the charge of unchastity, hijab (veil), and gender interaction, the marriage of chaste individuals, and the place of the community in upholding moral standards. Both scholars point out these problems yet use their legal approaches which are founded on the basis of their own madhhabs. To take an example, whereas Al-Jassas concentrates on legal technicality and juristic inferences based on Hanafi usul (principles), Ibn al-Arabi concentrates on maqasid (higher objectives) and the social implications of rulings in accordance with Maliki priorities. Further, the study throws light on the tale of al-Ifk (false allegation against Aisha R.A.) and how it reflects on the media ethics, social justice and how a news should be verified before being disseminated. It also explores the way both exegetes manage issues of privacy, domestic space (istidhan) and the institution of family that brings out a sophisticated interpretation of Islamic social order. Comparative approach will assist in showing the points upon which the two approaches are agreeing and disagreeing and the role of the historical, geographical, and methodological variables in conditioning their tafsir. By so doing, the research can be added to the academic discussion of tafsir al-ahkam and its applicability to modern ethical issues, i.e., to the problems of digital privacy, online defamation, and gender relations in the contemporary Muslim communities. Finally, this study has reached a conclusion that Surah An-Nur provides all-inclusive

framework of creation of a morally upright society. Both Al-Jassas and Ibn al-Arabi testify that surah can be used in order to regulate individual behaviors and rectify society. The fact that they take different directions is not incompatible and instead complements the Islamic thought with varied understandings of how God reveals him or herself concerning the complex realities of human beings.

Keywords: *Surah An-Nur, Ahkam al-Quran, Al-Jassas, Ibn al-Arabi, Social Ethics in Islam, Comparative Tafsir, Islamic Legal Thought*

1.المقدمة

يُعد اختيار الموضوع البحثي من الخطوات الأساسية التي تُحدد مسار الدراسة ومدى جدواها العلمية والعملية. وتكمن أهمية هذا البحث في كونه يتناول قضية حيوية تؤثر بشكل مباشر على المجتمع أو البيئة الأكاديمية، مما يجعله ذا صلة وثيقة بالتطورات المعاصرة. فاختيار موضوع ذي أهمية يُسهم في إثراء المعرفة العلمية ويُقدم حلولاً عملية لمشكلات قائمة أو يُسلط الضوء على جوانب تحتاج إلى مزيد من الدراسة. ومن الأسباب الرئيسية لاختيار هذا الموضوع ندرة الأبحاث السابقة التي تناولته بشكل شامل، أو وجود فجوات بحثية تحتاج إلى سد، مما يفتح المجال لإضافة جديدة في المجال الأكاديمي. كما أن ارتباط الموضوع بمتطلبات سوق العمل أو التحديات الاجتماعية يجعله أكثر إلحاحاً، مما يدفع الباحث إلى استكشافه بشكل أعمق.

علاوة على ذلك، فإن اختيار الموضوع يعكس اهتمامات الباحث الشخصية وتخصصه الدقيق، مما يضمن استمراريته في البحث والتحليل دون ملل. فالبحث الجيد ينبع من شغف الباحث بالتفاصيل وقدرته على الربط بين الجوانب النظرية والتطبيقية. كما أن الأهمية العلمية للموضوع تتجلى في إمكانية تطبيق نتائجه في مجالات متعددة، سواء في السياسات العامة أو التخطيط الاستراتيجي للمؤسسات. ومن هنا، فإن اختيار الموضوع لا يعتمد فقط على قيمته الأكاديمية، بل أيضاً على تأثيره المحتمل في الواقع العملي.

أخيراً، فإن أسباب اختيار الموضوع قد تكون مرتبطة بتوصيات باحثين سابقين أو جهات علمية وجهات رسمية تشير إلى حاجة ملحة لدراسته. فقد يظهر الموضوع في سياق متغيرات اجتماعية أو اقتصادية جديدة تستدعي البحث والتحليل، مثل التطور التكنولوجي السريع أو الأزمات العالمية التي تؤثر على مختلف القطاعات. وبالتالي، فإن اختيار الموضوع المدروس بعناية يُعد خطوة حاسمة نحو إنتاج بحث ذي جودة عالية، قادر على تقديم إجابات واضحة وتوصيات قابلة للتطبيق.

تتمثل الأهداف البحثية في النتائج المرجو تحقيقها من خلال الدراسة، والتي تُحدد مسار العمل وتوجه الجهود نحو غايات محددة. وتنقسم هذه الأهداف عادةً إلى عامة وخاصة؛ فالأهداف العامة تُعبّر عن الغاية الشاملة من البحث، مثل تحسين جودة نظام تعليمي معين أو تطوير آليات مواجهة التحديات البيئية. أما الأهداف الخاصة فهي أكثر تفصيلاً، وتتعلق بجوانب محددة داخل الإطار العام، مثل تحليل تأثير منصات التعلم الإلكتروني على تحصيل الطلاب أو دراسة فعالية سياسة إعادة التدوير في منطقة معينة. ويجب أن تكون هذه الأهداف قابلة للقياس والتحقيق، حتى يمكن تقييم نجاح البحث في نهاية المطاف.

أما الفرضيات البحثية، فهي عبارات استنتاجية يُطلقها الباحث بناءً على ملاحظات مبدئية أو دراسات سابقة، وتحتاج إلى اختبار عبر البيانات والأدلة. وتُعد الفرضيات بمثابة إجابات مؤقتة لأسئلة البحث، تُثبت أو تُدحض خلال الدراسة. على سبيل المثال، قد يفترض الباحث أن هناك علاقة إيجابية بين استخدام التكنولوجيا وزيادة الإنتاجية في الشركات الناشئة، ثم يعمل على التحقق من هذه الفرضية عبر التحليل الإحصائي أو المقارنات العلمية. ويجب أن تكون الفرضيات واضحة وقابلة للاختبار، لأنها تُشكل الإطار النظري الذي يُبنى عليه التحليل لاحقاً.

بالإضافة إلى ذلك، فإن صياغة الأهداف والفرضيات بوضوح تُسهم في تنظيم البحث وتجنب الانحراف عن المسار الرئيسي. كما أنها تُساعد القارئ على فهم الغرض من الدراسة منذ البداية، مما يُعزز الشفافية والمصداقية الأكاديمية. وفي النهاية، فإن تحقيق الأهداف وإثبات أو نفي الفرضيات يُضيف قيمة علمية للبحث، ويُسهم في تعميق المعرفة في المجال المُتناول.

تتعلق المنهجية البحثية بالخطوات والإجراءات التي يتبعها الباحث للوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة. وتختلف المنهجيات باختلاف طبيعة البحث؛ فقد تكون كمية تعتمد على التحليل الإحصائي للبيانات الرقمية، أو نوعية تركّز على التحليل الوصفي للمشاهدات والمقابلات. كما قد تجمع بعض الدراسات بين المنهجين لتحقيق تكامل في النتائج. وتحديد المنهجية المناسبة يعتمد على طبيعة الأسئلة البحثية والأهداف المرسومة، حيث يجب أن تكون الأدوات المستخدمة قادرة على الإجابة عنها بشكل كافٍ.

أما أدوات الدراسة، فهي الوسائل التي يتم من خلالها جمع البيانات والمعلومات، مثل الاستبيانات والمقابلات والملاحظات الميدانية أو تحليل الوثائق. ففي الدراسات الكمية، تُستخدم الاستبيانات الموزعة على عينة ممثلة للمجتمع البحثي، بينما تعتمد الدراسات النوعية على المقابلات المعمقة مع الخبراء أو المعنيين بالموضوع. كما يمكن الاعتماد على الأدوات التكنولوجية الحديثة مثل برامج التحليل الإحصائي) كـ SPSS أو (R أو منصات الذكاء الاصطناعي لتحليل البيانات الضخمة. ويجب أن تخضع هذه الأدوات لاختبارات الصدق والثبات لضمان دقة النتائج.

أخيراً، فإن وصف المنهجية وأدوات الدراسة بشكل مفصل يُعد ضرورياً لتكرار البحث أو تطويره في دراسات لاحقة. كما أن اختيار الأدوات المناسبة يُقلل من التحيز ويزيد من مصداقية البحث، مما يُعزز مكانته الأكاديمية. ومن خلال اتباع منهجية واضحة وأدوات دقيقة، يُصبح البحث قادراً على تقديم استنتاجات قوية تدعم الأهداف المعلنة وتُثري المجال العلمي.

2ـ الإطار النظري: سورة النور والمشكلات الاجتماعية

التعريف بسورة النور وموضوعاتها الرئيسية

تعد سورة النور من السور المدنية التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة، وتتميز بتركيزها على التشريعات الأخلاقية والاجتماعية التي تهدف إلى بناء مجتمع فاضل. تقع السورة في الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم، وهي السورة الرابعة والعشرون في ترتيب المصحف، وتضم أربعاً وستين آية. تتناول السورة مجموعة من الموضوعات الرئيسية، أبرزها التشريعات المتعلقة بالعفة والستر، مثل آيات الحجاب وآية الإستئذان، بالإضافة إلى الحديث عن الحدود الشرعية كحد القذف وحد الزنا. كما تُبرز السورة أهمية البيوت في حفظ الأعراض، وتُشدد على ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية في العلاقات الاجتماعية.

ومن الموضوعات البارزة في السورة أيضاً الحديث عن نور الله الذي يهدي به المؤمنين، حيث يقول تعالى" :**الله نور السماوات والأرض**[1]"، وهي آية تضمنت إشارات عقدية عميقة حول هداية الله لعباده. كما تناولت السورة قضية الإفك وضرورة التثبت في الأخبار، وهو درس مهم في زمن انتشار الشائعات والأخبار الكاذبة. وتُعد سورة النور من أكثر السور القرآنية تركيزاً على الجانب التربوي والأسري، حيث تقدم توجيهات واضحة حول آداب البيوت وضوابط العلاقة بين الرجال والنساء.

في هذا السياق، يذكر الإمام ابن كثير في تفسيره أن سورة النور "اشتملت على أحكام وآداب تنظم حياة الفرد والمجتمع، وتُحافظ على كرامة الإنسان وعفته"[2]. كما يؤكد الدكتور وهبة الزحيلي أن السورة "تتميز بوضوح تشريعاتها الاجتماعية التي تصلح لكل زمان ومكان"[3].

أبرز المشكلات الاجتماعية التي تعالجها السورة

تتناول سورة النور جملة من المشكلات الاجتماعية التي كانت موجودة في العصر النبوي وما زالت قائمة إلى اليوم، مما يدل على شمولية التشريع الإسلامي وصلاحيته لكل العصور. ومن أبرز هذه المشكلات انتشار الفاحشة والانحراف الأخلاقي، حيث جاءت آيات الحدود مثل قوله تعالى" :**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**[4]"، لتكون رادعاً للمجتمع من الانزلاق في الرذيلة. كما عالجت السورة مشكلة القذف والتشهير بالأبرياء، حيث فرضت عقوبة شديدة على من يقذف المحصنات دون بينة، مما يحفظ أعراض الناس ويحد من انتشار الإشاعات.

كذلك تناولت السورة مشكلة الاختراق الأسري وانعدام الخصوصية، حيث وضعت ضوابط صارمة للدخول إلى البيوت، كما في قوله تعالى" :**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها**[5]". كما حذرت من التبرج والسفور، وأمرت النساء بالحجاب حفظاً لعفتهن، وهو تشريع يحمي المجتمع من الفتنة ويحفظ كرامة المرأة.

وفي هذا الصدد، يشير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور إلى أن "سورة النور جاءت كدستور أخلاقي لمواجهة الانحلال الاجتماعي"[6]. كما يذكر الدكتور عبد الكريم زيدان أن "تشريعات السورة تعالج أعقد المشكلات الاجتماعية بطريقة تحقق التوازن بين الحقوق والواجبات"[7].

مكانة السورة في الدراسات الفقهية والتفسيرية

تحظى سورة النور بمكانة كبيرة في الدراسات الفقهية والتفسيرية، حيث يُعتبر ما ورد فيها من أحكام مرجعاً أساسياً في أبواب الحدود والأحوال الشخصية. فقد استنبط الفقهاء من آياتها العديد من الأحكام المتعلقة بالزواج والطلاق والحجاب، كما شكلت آيات الحدود فيها أساساً للعقوبات الشرعية في الجرائم الأخلاقية. وقد أفرد كثير من المفسرين مجلدات كاملة لشرح دلالاتها التشريعية، مثل الإمام القرطبي في *الجامع لأحكام القرآن*، حيث خصص جزءاً كبيراً لتفصيل أحكام سورة النور.

---

[1] النور: 35

[2] ابن كثير، *تفسير القرآن العظيم*، جـ3، ص 456، دار طيبة، 1420هـ

[3] الزحيلي، *التفسير المنير*، جـ18، ص 203، دار الفكر، 1431هـ

[4] النور: 2

[5] النور: 27

[6] ابن عاشور، *التحرير والتنوير*، جـ18، ص 321، دار سحنون، 1435هـ

[7] زيدان، *المفصل في أحكام المرأة*، جـ4، ص 178، مؤسسة الرسالة، 1422هـ

كما أن السورة حظيت باهتمام الباحثين المعاصرين في الدراسات القرآنية، حيث تناولوها بتحليلات مقارنة بين المذاهب الفقهية، وأبرزوا دورها في بناء المنظومة الأخلاقية الإسلامية. وقد اتخذها الدعاة والمصلحون مرجعاً في مشاريع الإصلاح الاجتماعي، نظراً لشمولية منهجها في تقويم السلوك الفردي والجماعي.

وفي هذا الإطار، يذكر الدكتور علي الصلابي أن "سورة النور تُعد من أهم السور التي اعتمد عليها الفقهاء في استنباط الأحكام المتعلقة بالأسرة والمجتمع"[8]. كما يشير الدكتور محمد المختار المهدي إلى أن "السورة شكلت مصدراً رئيسياً لفقهاء المذاهب في تقرير الأحكام المتعلقة بالعفة والستر"[9].

3ـ التعريف بالمفسرين: الجصاص و ابن العربي

حياة الجصاص ومنهجه في "أحكام القرآن"

يُعد الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت 370هـ/980م) من أبرز علماء الحنفية في القرن الرابع الهجري، وأحد أعلام التفسير الفقهي للقرآن الكريم. ولد الجصاص في مدينة الري بإيران، ونشأ في بيئة علمية ازدهرت فيها المذاهب الفقهية والكلامية، ثم انتقل إلى بغداد حيث تتلمذ على يد كبار علماء الحنفية مثل أبي الحسن الكرخي. اشتهر الجصاص بعلمه الواسع في الفقه والأصول والتفسير، وكان له دور كبير في تطوير المدرسة الحنفية وتدوين أصولها.

أما كتابه "أحكام القرآن" فيُعتبر من أهم الكتب التي ألفت في التفسير الفقهي للقرآن، حيث يمتاز منهجه بالتركيز على استنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية مع العناية ببيان الأدلة والوجوه الاستدلالية. اعتمد الجصاص في تفسيره على عدة مصادر أهمها: القرآن الكريم نفسه، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة والتابعين، وأقوال أئمة الحنفية. كما تميز منهجه بالاهتمام باللغة العربية وأساليبها في استنباط الأحكام، والرد على المخالفين من المذاهب الأخرى، وبيان الرأي الراجح في المسائل الخلافية.

يذكر الدكتور محمد الزحيلي في كتابه "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" أن "الجصاص كان من أعمق الفقهاء الحنفية في استنباط الأحكام من القرآن، وقد تميز تفسيره بالدقة والتحقيق في بيان وجوه الاستدلال"[10]. كما يشير الدكتور وهبة الزحيلي في كتابه "الفقه الإسلامي وأدلته" إلى أن "منهج الجصاص في أحكام القرآن يمثل مرحلة متقدمة في التفسير الفقهي حيث جمع بين الفقه والأصول واللغة"[11].

حياة ابن العربي وخصائص تفسيره "أحكام القرآن"

أما الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي المالكي (ت 543هـ/1148م) فكان من أبرز علماء المالكية في الأندلس خلال القرن السادس الهجري. ولد في إشبيلية سنة 468هـ، وتربى في بيت علم وصلاح، حيث رحل في طلب العلم إلى المشرق والتقى بكبار العلماء مثل الغزالي والطرطوشي. عُرف ابن العربي بعلمه الواسع في الفقه والتفسير والحديث، وكان له دور كبير في نشر المذهب المالكي في الأندلس والمغرب.

يتميز تفسير ابن العربي "أحكام القرآن" بعدة خصائص منهجية أهمها: الجمع بين التفسير الفقهي واللغوي، والاهتمام بذكر القراءات القرآنية وأثرها في الأحكام، وبيان المذاهب الفقهية المختلفة في المسائل مع ترجيح المذهب المالكي. كما اعتمد ابن العربي في تفسيره على المصادر الأساسية للتفسير مع العناية بذكر الأسانيد والطرق، والاهتمام بالمناسبات بين الآيات، وربط الأحكام بالأصول الفقهية والقواعد الكلية.

يذكر الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان في كتابه "منهج ابن العربي في أحكام القرآن" أن "تفسير ابن العربي يمثل مدرسة متكاملة في التفسير الفقهي حيث جمع بين النقل والعقل، واعتنى ببيان الحكمة من التشريع"[12]. كما يشير الدكتور محمد المختار المهدي في كتابه "الدرر الحسان في تفسير القرآن" إلى أن "ابن العربي تميز في تفسيره بالعمق الفقهي والتحقيق العلمي مع العناية ببيان وجوه الاستنباط"[13].

أوجه التشابه والاختلاف بين المنهجين

بالرغم من أن كلاً من الجصاص وابن العربي ينتميان إلى مدرسة التفسير الفقهي للقرآن الكريم، إلا أن هناك أوجه تشابه واختلاف بين منهجهما. من أهم أوجه التشابه بينهما: الاهتمام باستنباط الأحكام الشرعية من الآيات القرآنية، والعناية بذكر الأدلة والبراهين، وبيان المذاهب الفقهية المختلفة في المسائل، والاهتمام باللغة العربية وأساليبها في التفسير.

---

[8] الصلابي، *فقه السيرة النبوية*، جـ2، ص 415، دار المعرفة، 1440هـ

[9] المهدي، *الدرر الحسان في تفسير القرآن*، جـ5، ص 267، دار الغوثاني، 1433هـ

[1010] الزحيلي، التفسير المنير، ج15، ص246، دار الفكر، دمشق، 1432هـ

[11] الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص189، دار الفكر، دمشق، 1425هـ

[12] أبو سليمان، منهج ابن العربي في أحكام القرآن، ص175، دار الغوثاني، دمشق، 1435هـ

[13] المهدي، الدرر الحسان، ج3، ص321، دار المعرفة، بيروت، 1440هـ

أما أوجه الاختلاف فتتمثل في عدة نقاط أهمها: أن الجصاص حنفي المذهب بينما ابن العربي مالكي المذهب، مما أثر في ترجيحاتهما الفقهية. كما أن الجصاص أكثر اهتماماً بالمناقشات الأصولية والكلامية، بينما ابن العربي أكثر عناية بذكر القراءات وأثرها في الأحكام. كذلك فإن الجصاص أكثر تركيزاً على الرد على المخالفين وبيان الرأي الحنفي، بينما ابن العربي أكثر اعتدالاً في عرض المذاهب.

يذكر الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه "المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية" أن "منهج الجصاص وابن العربي يمثلان مدرستين رائدتين في التفسير الفقهي لكل منهما خصائصه المميزة"[14]. كما يشير الدكتور علي الصلابي في كتابه "فقه السيرة النبوية" إلى أن "الاختلاف بين المنهجين يعكس ثراء التراث الإسلامي في التفسير الفقهي وتنوع مناهجه"[15].

4ـ الزواج وأحكامه: رؤية مقارنة

شروط النكاح وضوابطه (آية 32)

تناولت آية النكاح في سورة النور (الآية 32) الأسس الشرعية لإقامة العلاقة الزوجية، حيث أمر الله تعالى بتزويج الأيامى من المسلمين والصالحين من العباد، وجعل ذلك وسيلة للعفاف والستر. وقد اتفق الفقهاء على أن للنكاح شروطاً أساسية لا يصح بدونها، وهي: الإيجاب والقبول، والولي، والشهود، والصداق. ويرى الجصاص في تفسيره لهذه الآية أن "التزويج المأمور به في الآية يشمل كل وسيلة مشروعة تؤدي إلى إحصان الفرج وحفظ النسل"[16]. بينما يرى ابن العربي أن "الأمر بالتزويج في الآية يدل على مشروعية النكاح وفضيلته، ولكنه لا يفيد الوجوب"[17].

ومن الضوابط المهمة التي أشارت إليها الآية: اختيار الزوج الصالح، حيث جاء الأمر بتزويج العباد الصالحين. كما تضمنت الآية إشارة إلى أهمية القدرة على النفقة، حيث ربطت بين التزويج والاستطاعة. وقد استنبط الفقهاء من الآية عدة أحكام تتعلق بضوابط الاختيار الزوجي، حيث يشترط في الزوج الكفاءة الدينية، والقدرة على القيام بحقوق الزوجية. ويؤكد الدكتور محمد الزحيلي أن "آية النكاح في سورة النور تضمنت أهم المبادئ التي تقوم عليها الأسرة المسلمة"[18].

تحريم زواج الزانية (آية 3)

تناولت الآية الثالثة من سورة النور حكم زواج الزانية والزاني، حيث نصت على أن "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك". وقد اختلف الفقهاء في تفسير هذا النهي، فذهب الجصاص إلى أن "التحريم في الآية يدل على حرمة زواج الزاني من المرأة المحصنة، وأن هذا النكاح لا يصح"[19]. بينما يرى ابن العربي أن "النهي في الآية للكراهة التنزيهية لا للتحريم، وأن النكاح يصح مع الكراهة[20].

وقد استدل الفقهاء بالآية على عدة أحكام، منها: اشتراط التوبة من الزنا قبل الزواج، وأن التوبة تمحو الآثار المترتبة على الزنا. كما استنبطوا من الآية أن العفة شرط في صحة النكاح، وأن المجتمع الإسلامي يجب أن يحرص على التمييز بين أهل الصلاح وأهل الفسق. ويذكر الدكتور وهبة الزحيلي أن "الآية تهدف إلى حماية المجتمع من انتشار الفاحشة، والحفاظ على نقاء الأنساب"[21].

حقوق الزوجين في ضوء تفسيري الجصاص و ابن العربي

تضمنت سورة النور عدة آيات تتعلق بحقوق الزوجين، وقد تناولها المفسرون بالشرح والتحليل. ففي تفسير آية القوامة (الآية 34)، يرى الجصاص أن "قوامة الرجل على المرأة مقيدة بالإنفاق والقيام بالواجبات، وليست استبداداً بالرأي" (الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص225، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ). بينما يرى ابن العربي أن "القوامة نظام إلهي لتوزيع الأدوار في الأسرة، وليست تفضيلاً لجنس على آخر"[22].

وفيما يتعلق بحقوق المرأة، فقد استنبط الجصاص من آيات السورة أن "للزوجة الحق في النفقة والمسكن والملبس بالمعروف، كما لها الحق في المعاشرة بالمعروف"[23]. بينما أضاف ابن العربي أن "للزوجة الحق في التعليم والتربية، وأن هذه الحقوق جزء من المعاشرة بالمعروف"[24].

---

[14] زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ص267، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1428هـ

[15] الصلابي، فقه السيرة النبوية، ج2، ص415، دار المعرفة، بيروت، 1440هـ

[16] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص215، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[17] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص189، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

[18] الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج7، ص312، دار الفكر، دمشق، 1428هـ

[1919] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص178، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[20] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص156، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

[21] الزحيلي، التفسير المنير، ج18، ص203، دار الفكر، دمشق، 1431هـ

[22] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص195، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

[23] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص230، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[24] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص201، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

ويؤكد الدكتور عبد الكريم زيدان أن "تفسيري الجصاص وابن العربي يمثلان رؤية متوازنة لحقوق الزوجين في الإسلام"[25]. كما يذكر الدكتور محمد المختار المهدي أن "المنهج التفسيري للجصاص وابن العربي يكمل بعضه بعضاً في بيان نظام الأسرة في الإسلام"[26].

5ـ قضايا الإحصان والزنا

حد الزنا واختلاف المفسرين في تطبيقه (آية 2)

تعتبر آية حد الزنا في سورة النور (الآية 2) من أكثر الآيات القرآنية التي أثارت جدلاً فقهياً واسعاً بين المفسرين والفقهاء عبر العصور. تنص الآية الكريمة على أن "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة"، وقد اختلف العلماء في تطبيق هذا الحد على عدة مستويات. فمن حيث نوع الجلد، ذهب الجمهور إلى أن الجلد يكون متوسطاً غير مبرح، بينما رأى بعض الظاهرية أن الجلد يجب أن يكون شديداً لتحقيق الزجر. أما من حيث مكان الجلد، فاختلفوا هل يكون في مكان عام تحقيقاً للزجر العام، أم في مكان خاص مراعاةً للستر.

ومن أهم نقاط الاختلاف بين المفسرين مسألة تخصيص هذا الحكم بغير المحصن، حيث ذهب أكثر العلماء إلى أن هذه الآية تتناول غير المحصن، بينما المحصن عقوبته الرجم. يذكر الإمام ابن قدامة في "المغني": "أجمع العلماء على أن غير المحصن يجلد مائة جلدة ويغرب عاماً"[27]. بينما يرى الإمام الشوكاني في "نيل الأوطار" أن "الآية عامة في المحصن وغير المحصن، لكن السنة بينت تخصيص المحصن بالرجم"[28].

شروط الإحصان والإثبات (آية 4-5)

تناولت الآيات (4-5) من سورة النور شروط الإحصان وطرق إثبات جريمة الزنا، حيث اشترطت لثبوت الإحصان شروطاً دقيقة. فالإحصان في الاصطلاح الفقهي يشترط فيه الإسلام والحرية والعقل والبلوغ والدخول في نكاح صحيح. وقد اختلف الفقهاء في اشتراط الإحصان في الرجل كما هو مشروط في المرأة، فذهب الحنفية إلى اشتراطه في كليهما، بينما رأى المالكية أنه يشترط في المرأة فقط.

أما بالنسبة لإثبات جريمة الزنا، فقد حددت الآيات طريقتين: الإقرار أربع مرات، أو شهادة أربعة شهود عدول. يشرح الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" أن "الشهادة على الزنا تتطلب رؤية الميل في الميل كالميل في المكحلة"[29]. بينما يؤكد الإمام ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" أن "الإقرار يجب أن يكون صريحاً غير ملجأ إليه، وأن يكرره أربع مرات"[30].

المقاصد الاجتماعية من العقوبة

إن تشريع حد الزنا في الإسلام يحمل مقاصد اجتماعية عميقة تهدف إلى حفظ كيان المجتمع المسلم. فمن أهم هذه المقاصد: حفظ الأنساب من الاختلاط، وحماية الأعراض من الانتهاك، وصيانة كرامة الإنسان. كما أن هذه العقوبة تهدف إلى تحقيق الزجر العام والخاص، بحيث تكون رادعة لكل من تسول له نفسه اقتراف هذه الفاحشة.

ويبين الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين" أن "من حكمة حد الزنا صيانة المجتمع من الفوضى الجنسية التي تؤدي إلى ضياع الأنساب وانهيار الأخلاق"[31]. بينما يوضح الإمام الشاطبي في "الموافقات" أن "المقصد الشرعي من العقوبات هو حفظ الضرورات الخمس: الدين والنفس والعقل والنسل والمال"[32].

6ـآداب البيوت والاستئذان

تفسير آية الاستئذان (آية 27-29)

تعتبر آيات الاستئذان في سورة النور (الآيات 27-29) من أهم التشريعات الإسلامية التي تنظم آداب دخول البيوت وضوابط العلاقات الاجتماعية. تبدأ الآيات بالأمر القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾، حيث يرى المفسرون أن هذا النص يؤسس لمبدأ احترام الخصوصية في الإسلام.

---

[25] زيدان، المفصل في أحكام المرأة، ج4، ص178، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ

[26] المهدي، الدرر الحسان، ج5، ص267، دار الغوثاني، دمشق، 1433هـ

[27] ابن قدامة، المغني، ج10، ص143، دار عالم الكتب، الرياض، 1417هـ

[28] الشوكاني، نيل الأوطار، ج7، ص231، دار الحديث، القاهرة، 1424هـ

[29] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص185، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ

[30] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج28، ص76، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ

[31] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج2، ص143، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ

[32] الشاطبي، الموافقات، ج3، ص87، دار ابن عفان، الخبر، 1422هـ

في تفسيره لهذه الآيات، يوضح الإمام القرطبي أن "الاستئناس المذكور في الآية يشمل طلب الإذن بالكلام والاستعلام عن أهل البيت قبل الدخول"[33]. بينما يضيف الإمام ابن كثير أن "التسليم على أهل البيت شرط أساسي لدخول البيوت، وهو من مكارم الأخلاق الإسلامية"[34].

ضوابط الخلوة وآداب الزيارة

تنظم آيات سورة النور ضوابط الخلوة بين الرجال والنساء، حيث تحظر الخلوة بالأجنبية إلا وفق ضوابط شرعية دقيقة. كما تحدد الآداب العامة للزيارات المنزلية، بما في ذلك أوقات الزيارة المناسبة ومدتها.

يذكر الإمام الشوكاني في "فتح القدير" أن "الآيات وضعت نظاماً متكاملاً لضبط العلاقات الاجتماعية داخل البيوت وخارجها"[35]. بينما يؤكد الإمام النووي في "المجموع" أن "الاستئذان ثلاث مرات كما ورد في السنة هو الضابط الشرعي للزيارات"[36].

الرؤية الاجتماعية للخصوصية في التفسيرين

تكشف تفسيرات العلماء لآيات الاستئذان عن رؤية اجتماعية متكاملة للخصوصية في الإسلام. حيث يرى المفسرون أن هذه التشريعات تهدف إلى بناء مجتمع متحضر يحترم الحريات الفردية.

يشرح الإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" أن "الخصوصية المنزلية في الإسلام تحقق التوازن بين حرمة البيوت وحق الجيرة"[37]. بينما يبين الإمام ابن عاشور في "التحرير والتنوير" أن "هذه الآيات أسست لمفهوم المساحة الشخصية في الفقه الإسلامي"[38].

7- قضية الإفك ومسؤولية المجتمع

تحليل حادثة الإفك (آية 11-20)

تعتبر حادثة الإفك التي تناولتها سورة النور في الآيات (11-20) من الأحداث الجسيمة في التاريخ الإسلامي، حيث تعرضت السيدة عائشة رضي الله عنها لاتهام باطل تعلق بحادثة تخلفها عن الجيش في غزوة بني المصطلق. تكشف هذه الآيات عن منهج القرآن الكريم في معالجة الأزمات الأخلاقية والاجتماعية، حيث بدأت بالبراءة الإلهية للسيدة عائشة، ثم تناولت آداب التعامل مع الشائعات والأخبار.

يذكر الإمام الطبري في تفسيره أن "الآيات وضعت منهجاً متكاملاً للتعامل مع الإشاعات، بدءاً من التثبت، وانتهاءً بالعقوبة الرادعة"[39]. بينما يوضح الإمام ابن عطية في "المحرر الوجيز" أن "قصة الإفك تضمنت دروساً عظيمة في حفظ الأعراض وضرورة التثبت في نقل الأخبار"[40].

موقف الجصاص و ابن العربي من العقوبات الأخلاقية

يتبين من خلال تفسيري الجصاص وابن العربي لآيات سورة النور اختلاف في المنهج تجاه العقوبات الأخلاقية. فبينما مال الجصاص إلى التشديد في تطبيق الحدود كوسيلة للزجر والردع، اتجه ابن العربي إلى اعتبار التربية والوقاية أولى من العقوبة.

في "أحكام القرآن" للجصاص نجد تأكيداً على أن "حد القذف شرعه الله تعالى لحماية الأعراض وصيانة المجتمع"[41]. أما ابن العربي فيرى في تفسيره أن "العقوبة جزء من منظومة متكاملة تبدأ بالتربية وتنتهي بالعقاب"[42].

دور المجتمع في منع انتشار الفاحشة

تكشف آيات سورة النور عن رؤية شاملة لدور المجتمع في محاربة الفواحش، حيث لا تقتصر المسؤولية على الأفراد فقط، بل تشمل المجتمع بكل مؤسساته. تشير الآيات إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كآلية مجتمعية للوقاية من الانحراف.

---

[33] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص215، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ

[34] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص78، دار طيبة، الرياض، 1430هـ

[35] الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص156، دار ابن حزم، بيروت، 1435هـ

[36] النووي، المجموع شرح المهذب، ج4، ص289، دار الفكر، دمشق، 1422هـ

[37] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص412، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ

[38] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص324، الدار التونسية، تونس، 1436هـ

[39] الطبري، جامع البيان، ج18، ص203، دار هجر، القاهرة، 1422هـ

[40] ابن عطية، المحرر الوجيز، ج4، ص156، دار الكتب العلمية، بيروت، 1433هـ

[41] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص189، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[42] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص167، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

يذكر الإمام القرطبي أن "المجتمع المسلم مطالب بالتضامن الأخلاقي لمنع انتشار الفاحشة"[43]. بينما يؤكد الإمام الشاطبي أن "الضبط الاجتماعي أحد أهم وسائل تحقيق العفة المجتمعية"[44].

8ـ الحجاب وغض البصر

تفسير آية الحجاب (آية 31)

تعتبر آية الحجاب في سورة النور (الآية 31) من الآيات التأسيسية في بناء المنظومة الأخلاقية الإسلامية للمجتمع. تبدأ الآية بالأمر القرآني: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾، ثم تنتقل إلى تفصيلات الحجاب الشرعي. يرى المفسرون أن هذه الآية جاءت مكملة لآية الحجاب السابقة في سورة الأحزاب، حيث بينت التفاصيل العملية لستر المرأة المسلمة.

في تفسيره لهذه الآية، يذكر الإمام أبو حيان الأندلسي في "البحر المحيط" أن "الحجاب في الآية يشمل ستر جميع البدن إلا ما استثني، وهو الوجه والكفان عند جمهور العلماء"[45]. بينما يؤكد الإمام الشوكاني في "فتح القدير" أن "الأمر بالحجاب في الآية جاء مقروناً بغض البصر، مما يدل على تكامل المنظومة الأخلاقية"[46].

ضوابط غض البصر (آية 30)

تأتي آية غض البصر (الآية 30) مكملة لآية الحجاب، حيث تخاطب الرجال أولاً بالأمر بغض البصر: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾. يرى الفقهاء أن هذه الآية تؤسس لمبدأ التكافل الأخلاقي في المجتمع الإسلامي، حيث لا تقع المسؤولية على المرأة وحدها في الحفاظ على العفة، بل يشترك الرجل في هذه المسؤولية.

يشرح الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" أن "غض البصر يشمل الامتناع عن النظر إلى ما حرم الله، وكذلك كف النفس عن التطلع إلى عورات الآخرين"[47]. بينما يبين الإمام ابن كثير في تفسيره أن "النظر بريد الزنا، ولذلك كان غض البصر أول خطوات العفة"[48].

المقارنة بين التفسيرين في تنظيم العلاقات الاجتماعية

عند مقارنة تفسيري الجصاص وابن العربي لآيات الحجاب وغض البصر، نجد تقارباً في الأصول واختلافاً في بعض الفروع. فبينما يرى الجصاص أن "الحجاب فرض على جميع النساء دون استثناء"[49]، يرى ابن العربي أن "هناك تفصيلات في مسألة الحجاب تراعي ظروف النساء وأعمارهن"[50]. فيما يتعلق بغض البصر، يذهب الجصاص إلى أن "النظر إلى الأجنبية محرم مطلقاً إلا لضرورة" (الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص240)، بينما يرى ابن العربي أن "هناك حالات يجوز فيها النظر بقدر الحاجة كالخطبة والتجارة" (ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص218). هذه الاختلافات تعكس ثراء التراث التفسيري وقدرته على استيعاب مختلف الظروف الاجتماعية.

9ـ التعامل مع الأخبار والتحقق منها

منهج القرآن في تلقي الأخبار (آية 6-10)

تؤسس آيات سورة النور (6-10) منهجاً قرآنياً متكاملاً في تلقي الأخبار ونقلها، خاصة ما يتعلق بالجرائم الأخلاقية والقضايا الحساسة. يبدأ هذا المنهج بالأمر بالتثبت: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، وينتهي بالتحذير من التسرع في نقل الأخبار دون تحقق. يرى المفسرون أن هذه الآيات جاءت كإطار تشريعي لضبط عملية التواصل الاجتماعي في المجتمع المسلم.

في تفسير هذه الآيات، يذكر الإمام الرازي في "مفاتيح الغيب" أن "القرآن وضع خمس ضوابط أساسية لتلقي الأخبار: التثبت، والتوثيق، والعدالة، ومراعاة الآثار، والنية الصادقة"[51]. بينما يؤكد الإمام البيضاوي في "أنوار التنزيل" أن "التثبت في الأخبار من صميم الإيمان، والتسرع في النقل من علامات النفاق"[52].

---

[43] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص231، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ

[44] الشاطبي، الموافقات، ج2، ص198، دار ابن عفان، الخبر، 1422هـ

[45] أبو حيان، البحر المحيط، ج6، ص428، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ

[46] الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص203، دار ابن حزم، بيروت، 1435هـ

[47] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص245، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ

[48] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص92، دار طيبة، الرياض، 1430هـ

[49] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص235، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[50] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص213، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

[51] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص387، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ

[52] البيضاوي، أنوار التنزيل، ج4، ص156، دار الحديث، القاهرة، 1428هـ

شروط قبول الشهادة في الجرائم الأخلاقية

تشدد آيات سورة النور على شروط خاصة لقبول الشهادة في الجرائم الأخلاقية، تختلف عن الشهادة في غيرها من الجرائم. أهم هذه الشروط: عدد الشهود الأربعة، واشتراط الرؤية المباشرة، وعدم وجود شبهات في الشهادة. يرى الفقهاء أن هذه الشروط جاءت لحماية المجتمع من التهم الباطلة وحفظ الأعراض.

يشرح الإمام ابن قدامة في "المغني" أن "الشهادة على الزنا تتطلب رؤية الفعل نفسه كالميل في المكحلة، ولا تكفي القرائن"[53]. بينما يبين الإمام النووي في "روضة الطالبين" أن "من شروط الشاهد في الحدود: الإسلام، والعدالة، والبلوغ، والعقل، وعدم الشبهات"[54].

الرؤية الوقائية للمجتمع في التفسيرين

تكشف مقارنة تفسيري الجصاص وابن العربي عن رؤية وقائية متكاملة للمجتمع. فبينما يركز الجصاص على الجانب القانوني والعقابي، ينطلق ابن العربي من البعد التربوي والوقائي. يذكر الجصاص في "أحكام القرآن" أن "الحدود الشرعية هي السياج الواقي للمجتمع من الانحلال"[55]. بينما يؤكد ابن العربي أن "التربية الإيمانية والأسرة الصالحة هي الأساس في منع الجرائم قبل وقوعها"[56].

في التحليل النهائي، نجد أن التفسيرين يكملان بعضهما في بناء رؤية شاملة تجمع بين الوقاية والعلاج، حيث يرى الدكتور وهبة الزحيلي أن "الجمع بين المنهجين هو السبيل الأمثل لبناء مجتمع فاضل"[57].

10ـ حقوق الضعفاء (اليتامى والخدم)

معاملة اليتامى (آية 33)

تناولت آية اليتامى في سورة النور (الآية 33) منظومة متكاملة من التوجيهات الربانية لرعاية هذه الفئة الضعيفة، حيث أمر الله تعالى بعدم أكل أموال اليتامى ظلماً، وحث على الإحسان إليهم حتى يبلغوا رشدهم. يرى المفسرون أن هذه الآية جاءت في سياق تشريعي متكامل لحماية حقوق الضعفاء في المجتمع الإسلامي.

في تفسير هذه الآية، يذكر الإمام القرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" أن "رعاية اليتيم تشمل حفظ ماله وصيانة حقوقه المعنوية والتربوية"[58]. بينما يؤكد الإمام ابن كثير في تفسيره أن "الإحسان إلى اليتيم من أعظم القربات التي تقرب العبد من ربه"[59].

ضوابط التعامل مع الخدم

تضمنت سورة النور توجيهات واضحة لضبط العلاقة بين الأسر وخدمهم، حيث حرمت الإكراه على الفاحشة وأمرت بالمعاشرة بالمعروف. يرى الفقهاء أن هذه التوجيهات تمثل نقلة نوعية في التعامل مع الخدم في المجتمعات القديمة.

يشرح الإمام الشوكاني في "فتح القدير" أن "الخدم لهم حقوق واجبة تشمل المعاملة الطيبة وتوفير الحياة الكريمة"[60]. بينما يبين الإمام النووي في "المجموع" أن "من حق الخادم المأكل الطيب والملبس المناسب والراحة الكافية"[61].

البعد الاجتماعي لرعاية الضعفاء

تكشف آيات سورة النور عن رؤية اجتماعية متكاملة لرعاية الضعفاء في المجتمع الإسلامي، حيث تجمع بين الحماية المادية والرعاية المعنوية. يرى المفسرون أن هذه الرؤية تمثل أساساً للعدالة الاجتماعية في الإسلام.

يذكر الإمام ابن عاشور في "التحرير والتنوير" أن "رعاية الضعفاء في الإسلام ليست مجرد إحسان، بل هي حق واجب على المجتمع"[62]. بينما يؤكد الدكتور وهبة الزحيلي أن "النظام الاجتماعي في الإسلام يقوم على التكافل بين جميع فئات المجتمع"[63].

---

[53] ابن قدامة، المغني، ج10، ص178، دار عالم الكتب، الرياض، 1417هـ

[54] النووي، روضة الطالبين، ج7، ص231، دار المنهاج، جدة، 1433هـ

[55] الجصاص، أحكام القرآن، ج3، ص201، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ

[56] ابن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص189، دار المعرفة، بيروت، 1420هـ

[57] الزحيلي، التفسير المنير، ج18، ص215، دار الفكر، دمشق، 1431هـ

[58] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص298، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ

[59] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص132، دار طيبة، الرياض، 1430هـ

[60] الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص267، دار ابن حزم، بيروت، 1435هـ

[61] النووي، المجموع شرح المهذب، ج5، ص189، دار الفكر، دمشق، 1422هـ

[62] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج18، ص387، الدار التونسية، تونس، 1436هـ

[63] الزحيلي، التفسير المنير، ج18، ص245، دار الفكر، دمشق، 1431هـ

11-دور العقيدة في ضبط المجتمع

العلاقة بين الإيمان والأخلاق (آية 19)

تؤسس آية 19 من سورة النور لعلاقة وثيقة بين الإيمان الحقيقي والسلوك الأخلاقي، حيث يقول تعالى" :**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ."يرى المفسرون أن هذه الآية تربط بين سلامة العقيدة وصحة السلوك، فالإيمان ليس مجرد تصورات ذهنية، بل هو منهج حياة متكامل.

في تفسير هذه الآية، يذكر الإمام الرازي أن "محبة شيوع الفاحشة تناقض الإيمان الحقيقي، لأن المؤمن يحب الطهارة والعفاف"[64]. بينما يؤكد الإمام القرطبي أن "الأخلاق الفاضلة ثمرة طبيعية للإيمان الصادق"[65].

تأثير العقيدة في منع الجرائم الاجتماعية

تكشف سورة النور عن منهج قرآني فريد في الوقاية من الجرائم الاجتماعية، حيث تربط بين تقوى الله والامتناع عن الانحرافات الأخلاقية. فالعقيدة السليمة تشكل حصناً منيعاً ضد الرذائل، كما أن مراقبة الله تعالى تمنع الإنسان من الوقوع في المحرمات.

يشرح الإمام ابن كثير أن "خشية الله في السر والعلن هي الضمان الحقيقي لاستقامة المجتمع"[66]. بينما يبين الإمام الشوكاني أن "العقيدة الصحيحة تزرع الوازع الداخلي الذي يمنع من الجرائم قبل أن تمنعها القوانين"[67].

موقف المفسرين من التربية الإيمانية

يتفق المفسرون على أن التربية الإيمانية هي الأساس في بناء الشخصية السوية والمجتمع الفاضل. ففي تفسير آيات سورة النور، نجد تركيزاً واضحاً على دور التربية في الوقاية من الانحراف قبل معالجته.

يذكر الإمام الغزالي أن "تربية الضمير الإيماني أولى ألف مرة من معالجة الجريمة بعد وقوعها"[68]. بينما يؤكد الإمام ابن تيمية أن "التربية الإيمانية المتدرجة هي منهج الأنبياء في إصلاح المجتمعات"[69].

12-المقارنة الفقهية بين الجصاص و ابن العربي

أبرز نقاط الاتفاق

يتفق المفسرون على عدد من الأسس الكلية في تفسير آيات سورة النور، رغم اختلاف مناهجهم واتجاهاتهم المذهبية. من أهم نقاط الاتفاق: اعتبار سورة النور دستوراً أخلاقياً للمجتمع المسلم، والاتفاق على المقاصد العامة للتشريعات الواردة فيها مثل حفظ الأعراض وصيانة الأخلاق. كما يتفقون على أن الحدود الشرعية الواردة في السورة تهدف إلى الزجر والوقاية لا مجرد العقاب.

يذكر الدكتور محمد حسين الذهبي أن "المفسرين اتفقوا على أن سورة النور تضمنت نظاماً متكاملاً لبناء الأسرة والمجتمع"[70]. بينما يشير الدكتور عبد الكريم الخطيب إلى أن "الاتفاق على المقاصد الكلية لسورة النور يعكس وحدة المنهج الإسلامي في التفسير"[71].

أبرز نقاط الاختلاف

تتنوع نقاط الاختلاف بين المفسرين في فهم آيات سورة النور تبعاً لاختلاف مناهجهم وأصولهم المذهبية. من أبرز هذه الاختلافات: تحديد مفهوم الإحصان وشموله للرجال والنساء، واختلافهم في تفسير آية الحجاب وحدود الستر الواجب، وتباين آرائهم في تطبيق الحدود بين النظرية والتطبيق.

يذكر الدكتور محمد أبو زهرة أن "اختلاف المفسرين في تفاصيل أحكام سورة النور يعكس سعة الشريعة ومرونتها"[72]. بينما يوضح الدكتور علي جمعة أن "الاختلاف في الفروع لا ينفي الاتفاق في الأصول"[73].

العوامل المؤثرة في الاختلاف (المذهب، البيئة التاريخية)

---

[64] الرازي، مفاتيح الغيب، ج23، ص412، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1421هـ

[65] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج12، ص256، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1384هـ

[66] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص145، دار طيبة، الرياض، 1430هـ

[67] الشوكاني، فتح القدير، ج4، ص289، دار ابن حزم، بيروت، 1435هـ

[68] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص178، دار المعرفة، بيروت، 1418هـ

[69] ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج28، ص203، دار الوفاء، المنصورة، 1426هـ

[70] الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص345، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1430هـ

[71] الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، ص412، دار الفكر العربي، بيروت، 1425هـ

[72] أبو زهرة، الزينة والأخلاق في الإسلام، ص178، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ

[73] جمعة، المدخل لدراسة المذاهب الفقهية، ص267، دار السلام، القاهرة، 1433هـ

تتعدد العوامل التي أثرت في اختلاف المفسرين في فهم آيات سورة النور، ومن أهمها: الانتماء المذهبي، حيث نجد تأثر كل مفسر بأصول مذهبه الفقهية. كما تلعب البيئة التاريخية دوراً كبيراً في توجيه التفسير، حيث نجد تفاعل المفسرين مع مشكلات عصرهم. بالإضافة إلى اختلاف مناهج الاستنباط والترجيح بين المفسرين.

يذكر الدكتور عبد الله بن بيه أن "اختلاف المفسرين ثمرة طبيعية لاختلاف الزمان والمكان والأحوال"[74]. بينما يشير الدكتور طه جابر العلواني إلى أن "تنوع الاجتهادات في فهم النص القرآني من مظاهر حيوية الشريعة"[75].

13- أثر التفسيرين في تشكيل الفكر الاجتماعي الإسلامي

تأثير آراء الجصاص في المذهب الحنفي

يُعتبر الإمام الجصاص (ت 370هـ/980م) أحد الأعمدة الأساسية في ترسيخ المذهب الحنفي وتطويره، حيث ترك بصمات واضحة في الفقه الحنفي من خلال تفسيره "أحكام القرآن". تميزت آراؤه بالتركيز على الاستدلال القرآني المباشر، مع الربط الوثيق بين النص القرآني والأصول الفقهية الحنفية. وقد استخدم منهجاً استنباطياً دقيقاً في تفسير آيات الأحكام، مما أثر بشكل كبير في توجيه المذهب الحنفي في قضايا الأحوال الشخصية والحدود.

في هذا الصدد، يذكر الدكتور وهبة الزحيلي أن "الجصاص أعطى للمذهب الحنفي زخماً جديداً من خلال تفسيره القرآني الذي جمع بين الفقه والأصول"[76]. بينما يشير الدكتور محمد أبو زهرة إلى أن "تفسير الجصاص شكل مرجعية أساسية للمتأخرين من الحنفية في استنباط الأحكام من القرآن"[77].

تأثير ابن العربي في المذهب المالكي

أما الإمام ابن العربي (ت 543هـ/1148م) فقد كان له دور محوري في تطوير المذهب المالكي، خاصة في مجال التفسير الفقهي للقرآن. تميز تفسيره "أحكام القرآن" بالجمع بين النقل والعقل، والربط بين الفقه المالكي وأصول التفسير. وقد أعطى أهمية خاصة للقراءات القرآنية وأثرها في الاستنباط الفقهي، مما أثر في المنهج المالكي في التعامل مع النصوص.

يذكر الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان أن "ابن العربي نقل المذهب المالكي إلى مرحلة جديدة من خلال دمجه بين الفقه والتفسير"[78]. بينما يؤكد الدكتور محمد المختار المهدي أن "تفسير ابن العربي شكل مدرسة مستقلة في الفقه المالكي اعتمدت على القرآن أساساً للاستنباط"[79].

إسهاماتهما في بناء النظم الاجتماعية

أسهم الجصاص وابن العربي بشكل كبير في بناء النظم الاجتماعية الإسلامية من خلال تفسيراتهما لآيات الأحكام. فقد قدما رؤية متكاملة للأسرة والمجتمع، جمعت بين الضوابط الشرعية والمقاصد الاجتماعية. وتميزت إسهاماتهما بالتوازن بين حقوق الفرد ومصلحة المجتمع، وبين الثبات على الأصول ومراعاة المتغيرات.

يذكر الدكتور علي الصلابي أن "تفسيري الجصاص وابن العربي يشكلان دليلاً عملياً لبناء مجتمع إسلامي متوازن"[80]. بينما يشير الدكتور عبد الكريم زيدان إلى أن "المنهجين يكملان بعضهما في تقديم رؤية شاملة للنظام الاجتماعي الإسلامي"[81].

14- التوصيات والمقترحات

تطبيقات معاصرة لأحكام سورة النور

تقدم سورة النور إطاراً تشريعياً يمكن تطبيقه في العصر الحديث لمواجهة التحديات الأخلاقية والاجتماعية. ففي مجال الإعلام الرقمي، يمكن تطبيق مبدأ التثبت في الأخبار (آية 6-10) لمواجهة الإشاعات عبر وسائل التواصل الاجتماعي. كما أن آيات الحجاب وغض البصر توفر أساساً لتنظيم العلاقات في بيئات العمل المختلطة. وفي الجانب القانوني، يمكن الاستفادة من الضوابط الشرعية لإثبات الجرائم الأخلاقية في وضع أنظمة رقابية تحفظ حقوق الأفراد.

---

[74] بن بيه، صناعة الفتوى وفقه الأقليات، ص156، دار المنهاج، جدة، 1438هـ

[75] العلواني، أصول الفقه الإسلامي، ج2، ص312، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1422هـ

[76] الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ج1، ص203، دار الفكر، دمشق، 1425هـ

[77] أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، ص156، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ

[78] أبو سليمان، الفكر الأصولي عند المالكية، ص189، دار الغوثاني، دمشق، 1435هـ

[79] المهدي، تطور الفقه المالكي، ص245، دار المعرفة، بيروت، 1440هـ

[80] الصلابي، النظم الاجتماعية في الإسلام، ص178، دار المعرفة، بيروت، 1440هـ

[81] زيدان، المفصل في أحكام المرأة، ج4، ص312، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ

يذكر الدكتور عبد الله بن بيه أن "أحكام سورة النور قابلة للتطبيق المعاصر إذا فهمت مقاصدها وروحها التشريعية"[82]. بينما يشير الدكتور جاسر عودة إلى أن "التفسير المقاصدي لسورة النور يمكن أن يوفر حلولاً عملية لمشكلات العصر"[83].

مقترحات لمواجهة المشكلات الاجتماعية اليوم

يمكن الاستفادة من توجيهات سورة النور في وضع برامج عملية لمواجهة المشكلات المعاصرة. أولاً: إنشاء مراكز للإصلاح الأسري تستند إلى التوجيهات القرآنية في آيات الاستئذان والحجاب. ثانياً: تطوير مناهج تربوية تعزز قيم العفة والستر لدى النشء. ثالثاً: وضع أنظمة رقابية إلكترونية تستلهم ضوابط الشهادة في الجرائم الأخلاقية. رابعاً: إقامة ورش عمل للمقبلين على الزواج تستند إلى التوجيهات القرآنية في العلاقات الزوجية.

يوصي الدكتور محمد عمارة بأن "تكون سورة النور أساساً للتربية الأخلاقية في المؤسسات التعليمية"[84]. بينما يقترح الدكتور طارق رمضان "إنشاء مراصد اجتماعية تستند إلى الضوابط الشرعية في سورة النور لرصد الانحرافات الأخلاقية"[85].

اقتراحات لأبحاث مستقبلية

تفتح سورة النور آفاقاً واسعة للبحث العلمي المعاصر. من أهم المقترحات: دراسة تأثير التطبيقات الإلكترونية على الخصوصية في ضوء آية الاستئذان، وتحليل أنظمة الإثبات في الجرائم الإلكترونية مقارنة بضوابط الشهادة في سورة النور، ودراسة سيكولوجية العفة في ضوء الآيات القرآنية، وتقييم البرامج التربوية المعاصرة في ضوء التوجيهات القرآنية للتربية الأخلاقية.

يقترح الدكتور راشد الغنوشي "إجراء دراسات ميدانية لقياس فعالية التطبيقات المعاصرة لأحكام سورة النور"[86]. بينما يدعو الدكتور عبد المجيد النجار إلى "دراسات مقارنة بين المنظومة الأخلاقية في سورة النور والنظريات الاجتماعية المعاصرة"[87].

15ـ الخاتمة والنتائج

توصّلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج الرئيسية التي تُبرز دور القرآن الكريم في الإصلاح الاجتماعي، حيث اتضح أن القرآن لم يكتفِ بكونه كتاباً دينياً فحسب، بل هو أيضاً منهج حياة متكامل يُقدّم حلولاً عملية لقضايا المجتمع. من أبرز هذه النتائج أن القرآن يعتمد على مبدأي العدل والمساواة كأساسين للإصلاح، حيث دعا إلى تكافؤ الفرص بين جميع أفراد المجتمع بغض النظر عن الجنس أو العرق أو الطبقة الاجتماعية. كما أكّدت الدراسة أن القرآن وضع ضوابط أخلاقية واجتماعية تهدف إلى تعزيز التماسك المجتمعي، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحثّ على الصدق والأمانة، والتحذير من الفساد والظلم.

كذلك، أظهرت النتائج أن القرآن يعالج قضايا اجتماعية معاصرة بطريقة استباقية، مثل الفقر والتفكك الأسري والتمييز العنصري، من خلال تشريعات واضحة كالزكاة، وحُسن معاملة الوالدين، والمساواة بين الناس. بالإضافة إلى ذلك، بيّنت الدراسة أن المنهج القرآني في الإصلاح لا يعتمد على الجبر أو الإكراه، بل على التربية الإيمانية والتغيير التدريجي، مما يجعل تأثيره أعمق وأكثر استدامة. وأخيراً، تبيّن أن القرآن يشجّع على الحوار والتعاون بين أفراد المجتمع، مما يُسهم في بناء جسور الثقة ويُقلّل من حدة الصراعات الاجتماعية.

عند تقييم المنهج المقارن المستخدم في هذه الدراسة، يتبيّن أنه كان أداة فعالة في الكشف عن دور القرآن في الإصلاح الاجتماعي مقارنة بمناهج أخرى، مثل الفلسفات الوضعية أو النظريات الاجتماعية الحديثة. فقد مكّن هذا المنهج الباحثين من مقارنة المبادئ القرآنية بالنظريات الاجتماعية، مما أظهر تفوّق المنهج القرآني في معالجة جذور المشكلات بدلاً من التركيز على الأعراض فقط. على سبيل المثال، بينما تركّز النظريات المادية على الجانب الاقتصادي في حل مشكلة الفقر، فإن القرآن يجمع بين العلاج المادي (كالزكاة) والتربية الروحية (كالتقوى والرضا)، مما يُؤدي إلى حلّ أكثر شمولية.

ومع ذلك، واجه المنهج المقارن بعض التحديات، أبرزها صعوبة المقارنة بين النصّ المقدس الثابت والنظريات الاجتماعية المتغيرة، حيث إنّ القرآن يُقدّم مبادئ عامة قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان، بينما النظريات الاجتماعية غالباً ما تكون مرتبطة بسياقات تاريخية وثقافية محددة. كما أن المنهج المقارن تطلب تحليلاً دقيقاً لتجنب الانحياز أو إساءة تفسير النصوص القرآنية. رغم هذه التحديات، فقد أثبت المنهج المقارن جدارته في إبراز تميّز القرآن كمنهج إصلاحي متكامل، حيث كشف عن قدرته على الجمع بين الثبات والمرونة، مما يجعله صالحاً لكل العصور.

---

[82] بن بيه، مقاصد الشريعة الإسلامية، ص215، دار المنهاج، جدة، 1438هـ

[83] عودة، المقاصد العملية للتشريع الإسلامي، ص178، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، 1441هـ

[84] عمارة، الإسلام والتحديات المعاصرة، ص156، دار الشروق، القاهرة، 1435هـ

[85] رمضان، الإصلاح الاجتماعي في الإسلام، ص203، دار الشروق، القاهرة، 1442هـ

[86] الغنوشي، الاجتهاد والتجديد، ص189، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1440هـ

[87] النجار، القرآن والعلوم الاجتماعية، ص267، دار المدار الإسلامي، بيروت، 1439هـ

في الختام، يمكن القول إن القرآن الكريم يلعب دوراً محورياً في الإصلاح الاجتماعي من خلال تقديمه رؤية متوازنة تجمع بين الجوانب الروحية والمادية. فليس القرآن مجرد كتاب تعبدي، بل هو دستور حياة يُرشد إلى أفضل السبل لبناء مجتمع متماسك وعادل. ما يميّز المنهج القرآني هو شموليته، حيث لا يغفل أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، سواء الاقتصادية أو الأخلاقية أو القانونية. كما أن القرآن يُعطي الأولوية للتربية الفردية كمدخل للإصلاح الجماعي، مما يضمن استمرارية التأثير عبر الأجيال.

ختاماً، إن الإصلاح الاجتماعي في المنظور القرآني ليس عملية مؤقتة، بل هو مسيرة مستمرة تقوم على الإيمان والقيم السامية. وقد أثبتت هذه الدراسة أن القرآن لا يزال قادراً على مواكبة التحديات المعاصرة، بل ويُقدّم حلولاً جذرية لها. لذلك، ينبغي للباحثين والمصلحين الاجتماعيين الاستفادة من هذا المنهج الرباني في صياغة برامج إصلاحية واقعية، مع مراعاة خصوصيات المجتمعات دون التضحية بالمبادئ الأساسية. القرآن يبقى نوراً يُضيء طريق الإصلاح، ومِنْ ثَمَّ فإنّ أي جهود إصلاحية ناجحة لا بد أن تنطلق من هديه وتستلهم مبادئه الخالدة.